الانتاجية العلمية والبحثية لأعضاء هيئة التدريس ودور الجامعة البحثية في تحسينها:

ظهر مصطلح (الجامعة البحثية) Research University في موسوعة Wikipedia, the free encyclopedia وكان يمثل فئة من الجامعات وفقا لتصنيف مؤسسة كارنيجي لتصنيف التعليم العالي The Carnegie Classification of Intuitions of Higher Education ، حيث تشير إلى الجامعات التي تقوم بالتركيز على أنشطة البحث العلمي .

وفي عام 1994 صدر تصنيف لمؤسسة كارنجي الأمريكية، وعرفت الجامعة البحثية الأولى على أنها تضم الخصائص التالية: (University of Washington, 2009, 26)

- جامعة تقدم مجموعة كبيرة من برامج درجة البكالوريوس.
- جامعة يكون لديها التزام بالنسبة للتعليم بالدراسات العليا حتى درجة الدكتوراه.
- جامعة تعطي أولوية أساسية للبحث العلمي.
- جامعة تحصل سنويا على دعم مالي (40) مليون دولار فأكثر.

وقد أشار ويرتز (Weerts, 2002, 26) أن مؤسسة كارينجي قد أفادت أن (59) جامعة بالولايات المتحدة الأمريكية قد حققت هذه الشروط أو المعايير في عام 1994م.

وفي تقرير مؤسسة كارينجي الصادر في عام 2000م عن تصنيف مؤسسات التعليم العالي قامت المؤسسة بإعادة تسمية هذه الفئة من الجامعات " الجامعات ذات التركيز البحثي ودرجة الدكتوراه" (Doctoral/research Universities extensive) وذلك لتفادي الخلط في المفهوم، وقامت المؤسسة بإحلال تصنيفها الفردي بنظام تصنيف متعدد وذلك في التطوير الشامل للإطار الخاص بالتصنيف في عام 2005م، وهكذا فإن مصطلح (الجامعة البحثية) هو المصطلح السائد.

وإدراكا لما سبق، وفي المناخ المعرفي التنافسي الذي يشهده العالم، تتجه الجامعات بصورة غير مسبوقة نحو تعزيز دورها في البحث العلمي والعطاء المعرفي ، ومن أمثلة ما يجري في هذا الاطار إنشاء " رابطة الجامعات الأوربية البحثية LERU" عام 2002م من " اثنتي عشرة جامعة" ، من

أهم الجامعات في الدول الأوربية المختلفة، ثم انضمام " ثماني جامعات أوربية أخرى إلى هذه الرابطة عام 2006م.

وتعرف رابطة الجامعات الأوربية بأنها تجمع تعاوني فعال بين مؤسسات معروفة بالتزامها بتقديم بحوث قادرة على المنافسة على مستوى العالم، مقرونة بجودة تعليمية عالية، غايتها وضع الجامعات الأوربية في مقدم جامعات العالم بحثيا وتعليميا.(الفنتوخ، 2007، 2)

وإن كانت المفاهيم السابقة للجامعة البحثية، تعبر عن جهود حديثة، فإن المتتبع لنشأة جامعة البحث يلاحظ أنها وليدة التفاعل القائم بين النماذج المتطورة للإنتاج المعرفي والتنمية المؤسسة، وتزودنا دراسة أصول الجامعة البحثية بانطباع عن حداثة عملية تنمية نظام الجامعة البحثية المعاصرة، إلا أنه في الحقيقة تمتد أصول هذه الجامعة البحثي إلى القرن السابع عشر الميلادي حيث ظهرت معايير العلوم المفتوحة في المؤسسات والأكاديمية العلمية في تلك الفترة كاستجابة لمناهج الجامعة العتيقة والتي لا تنطوي على قدر كبير من المعرفة، علاوة على موقفها المضاد والصريح لأيديولوجيات التنوير. (Michael, 2000, 7)

ويأتي عام 1809م ليحدد البداية الحقيقية لظهور جامعة البحث بهذا المسمى عندما بدأت فروع مختلفة لجامعة البحث في تثبيت ، فكانت جامعة برلين بألمانيا University of Berlin أولى جامعات البحث الألمانية التي نمت كمؤسسات تشمل على الأدبيات وفلسفة الحقيقة الرومانية بالإضافة إلى العمل النظري والتجريبي الفعال في العلوم المختلفة، ولقد صاحب هذه الفترة ظهور مراكز علوم أوربية أخرى ، وهكذا نرى أن مقدمات البدء للجامعة البحثية في ألمانيا ثم انتقلت إلى الدول الأخرى فكانت جامعة البحث في برلين والتي أنشئت على يد " ويلهلم فون هومبولدت" وكانت بمثابة القدوة التي حفزت التنافس في العالم أجمع، فقد كان البحث قبل هذا التاريخ في دول أوربا وأمريكا يجري تحت إشراف الأكاديميات مثل : الجمعية الملكية في بريطانيا، أومن قبل جامعات خاصة مثل: جامعة "جونس هوبكنس" و " هارفارد" و " شيكاغو" و " ستنافورد " في حين أن جامعات البحث الألمانية كان لها الريادة في الكيمياء والفيزياء والعلوم والزراعة (Hugh & Nancy, 1997, p 12-15)

إلا أن مفهوم جامعة البحث عندما انتقل من ألمانيا إلى أمريكا في هذه الفترة تزامن مع تأسيس جامعة جونس هوبكنز Johns Hopkins في عام 1876م كأول جامعة بحثية

أمريكية قام على غرارها العديد من المؤسسات الأمريكية التي كان لها الفضل في ازدهار الولايات المتحدة الأمريكية وتمكينها من تحقيق النجاح في العلوم والهندسة فيما تلاها من عقود، ومن هذه الجامعات الأمريكية التي تحولت من جامعات تقليدية إلى جامعات بحثية ومراكز متطورة للبحوث العلمية والهندسية جامعات كولومبيا Columbia، هارفارد Harvard، بن Penn، يال Yale، التي تبنت النموذج الألماني وطورته وتفوقت عليه ديماموند، وجراهام (Diamond, Graham, 1997, p 27).

وهنا يجدر الإشارة إلى أنه في صدر القرن العشرين كان يوجد زهاء 15 جامعة بحثية ثم ما لبثت الدول المتقدمة أن تبنت هذا الاتجاه فانتشرت الجامعات البحثية هنا وهناك كأداة لتحقيق تقدم هذه المجتمعات، ولعل النموذج الأمريكي American Model هو أوضح مثال على ذلك فالتطور الذي حدث في جامعة البحث الأمريكية تزامن مع عملية تنمية مجالات الهندسة والعلوم التطبيقية مثل الهندسة الإلكترونية Electrical Engineering، والهندسة الكيميائية Chemical Engineering، والهندسة التقنية Mechanical Engineering ، وهندسة الطيران Aeronautical Engineering، فكانت هذه الجامعات بمثابة الحاضن لشبكات المعرفة العلمية والتقنية Incubators for Scientific and Technical Information Network Communities of Innovators (Tucker, 1999, 10-14)

وتعمل الجامعات البحثية وفق هياكل تنظيمية رسمية مختلفة فمنها مؤسسات خاصة، ليست للربح وبعضها كيانات عامة تابعة للحكومة ويشرف عليها مجلس أمناء يتم اختيار أعضائه أو انتخابهم أو تعيينهم من قبل الحكومة وفق معايير مختلفة، وقد يشرف مجلس الأمناء الواحد على العديد من الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، وتركز على البحوث العلمية التطبيقية.

وتقوم بالعديد من الفعاليات فهي كمؤسسة تعليمية قد تبقى على عدد من التخصصات الأكاديمية كما تدعم نطاقا واسعا من الكليات المهنية، وتمارس أنشطة تعليمية مكثفة خارج الحرم الجامعي في مواصلة التعليم المهني وتقديم الخدمات المتنوعة لعملائها من المؤسسات الخاصة أو العامة، وعادة ما تجمع الجامعات بين تلك المهام بوسائل مختلفة مع الحرص على أن لا تقوم جامعتان برسالات متشابهة، ومع تركيباتها المعقدة فإن الجامعات البحثية تعمل

كمؤسسات لتقدم المعرفة في جميع مجالات الأنشطة البشرية ابتداء من الفنون إلى علوم السلوكيات، ومن المهنيات إلى العلوم الرياضية والطبيعية والحيوية (كابلدي وآخرون، Capaldi & other, 2001, p66).

ولا يعني هذا أن الجامعة البحثية تتفق في رؤيتها ورسالتها للأهداف التعليمية مع الجامعات الأخرى (سواء تعليمية، أو انتاجية، أو استثمارية) بل لها خصوصية ترتبط مع التوجه العام لهذه الجامعات البحثية في تأكيدها على البحوث العلمية، والممارسات الأكاديمية المجتمعية.

ويمكن عرض أهم الأسس أو المبادئ التي تقوم عليها الجامعة البحثية فيما يلي:

1- حرية ممارسة البحث العلمي :

فالجامعة هي المكان الوحيد الذي يتمتع بحرية البحوث، حيث تجرى فيه مختلف المجالات دون قيود تكبلها مثل السعي إلى الربح أو التوغل في السوق، حتى لو توجهت بعض البحوث لذلك المنحى، وكثير من باحثي الجامعة يقومون ببحوثهم لإشباع حي الاستطلاع والمتعة في الابتكار والفكر البناء وفي العمل على الإثراء الثقافي إلى جانب الإثراء المادي. ومن مميزات البحوث الجامعية أنها غير موجهة لخدمة قطاع بعينه وليس عليها وصاية من أصحاب المصالح الشخصية.

2- الاهتمام بالبعد التنموي في البحوث العلمية :

فمع تركيز الجامعات البحثية على البحوث العلمية فهي لا تغفل عن دورها في التعليم وتخريج الطلاب وإجازة الشهادات الجامعية العليا التي تؤهلهم للتقدم في المجالات المهنية المختلفة، كما أنها تجيز شهادات التخصص بما في تلك الماجستير والدكتوراه وتلعب دورا كبيرا في التعليم المتواصل وتقديم فترات الدراسة القصيرة التي يقضيها العاملون في إعادة التأهيل. إلى جانب تزويد الوطن بالقوى العاملة التي على قدر عال من التعليم فإن الجامعة تخرج خبراء في التعليم المهني والتدريب يقومون على تنمية مهارة العمالة الفنية، ويساهمون في حملات محو الأمية والتأهيل المهني.

3- مواكبة الانفجار المعرفي المتنامي :

فإلى جانب ما تضيفه البحوث التطبيقية التي تقوم بها الجامعات البحثية من معرفة جديدة فإن البحوث الأساسية تضيف كماً هائلا من المعرفة البشرية لاستفادة الأجيال الحالية والأجيال القادمة، هذا إلى جانب المعرفة التي تتراكم ف العلوم الإنسانية والاجتماعية والفنون والأدب والثقافة.(مركز الانتاج الإعلامي، 1427هـ، 21- 25)

4- الاهتمام بالبحث العلمي متداخل التخصصات :

حيث تحاول هذه الجامعات بصورة نشطة إزالة الحواجز أمام التخصصات والبرامج الأكاديمية بما يسمح بوجود تخصصات متداخلة، لذا تعتمد الجامعات البحثية على مبدأ تداخل التخصصات في انتاج ودعم بيئة غنية للتعلم والبحث القائم على تداخل العلوم وتشابك المعارف وصولا بوحدة المعرفة وتقديم الدعم والحوافز على ذلك (John & Lombaradi and others, 2001, 7).

5- مراعاة البعد الدولي في مجال تطبيق نتائج البحوث العلمية :

ويمكننا النظر إلى منظومة البحث العلمي بالجامعة البحثية على أنها منظومة جزئية تتكامل مع مؤسسات المجتمع ككل، مع ملاحظة أن ثورة المعلومات أتاحت إمكانية وجود علاقات مباشرة، متجاوزة لمجتمعية الجامعات المعاصرة إلى عالميتها وبالنسبة للبعد المجتمعي تدخل تقريبا كل أنشطة المجتمع من صناعة إلى زراعة إلى سياحة فتجارة فخدمات معتمدة في تطورها الاستثمار المباشر للتراكم العلمي والمعرفي. لكافة المؤسسات البحثية في المجتمع بالنسبة للبعد العالمي فإنه يتشكل من منظومات البحث والتطور والابتكار في المنظومات الإقليمية والدولية، فهذا البعد يتضح تأثيره في العلاقات التفاعلية وتراكم المعلومات والمعارف والخبرات على صعيدين: تراكم العلمي ذاتي. والصعيد الثاني هو صعيد المنظومة نفسها، إن أسبقية الدول المتقدمة في خلق المنظومات العلمية راكمت لديها خبرات عن دور المنظومة والشكل الأكثر فعالية لها وكيفية انخراطها في المهام الوطنية العامة وكيفية استثمار منتجاتها في حركة تور المجتمع وتكريس التنمية.

6- تطبيق مبدأ المحاسبية في مجال البحث العلمي :

حيث تمتلك الجامعات البحثية قدرة محاسبية وتفويضا إقليميا وقوميا ، ونظرا لتقديم المساعدات الحكومية لمثل هذه الجامعات، فإنه من المتوقع- على الرغم من برامجها الأكاديمية- أن تساعد في مواجهة القضايا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الملحة وكذلك القضايا السياسية (Martin & Land, 2002, 12).

وتعبر هذه الأسس والمبادئ عن درجة التعقد في أبعاد وملامح الجامعات البحثية، فهي ترتبط بحرية البحث العلمي مع التنمية البشرية، وهو ما يعطي تصورا عن مجتمعية البحث واستهدافه حل مشكلات التنمية من جانب، ومن جانب آخر تجمع بين " تداخل التخصصات " وتقدم المعرفة وكذلك البعد الدولي مع الإقليمي، لذلك فهي تهتم بالمعرفة الإنسانية وتجددها أينما كانت أو أينما كان مصدرها، وهذه المعرفة ليست بالضرورة معرفة تخصصية بقدر ماهي معرفة تكاملية ومتداخلة في شتى مجالات العلم وتطبيقاته التكنولوجية في العالم، وهي أيضا تعبر عن المحاسبية المجتمعية في قدرتها على التوازن بين مشروعاتها البحثية ومحاسبة المجتمع لها.

وتشير الأدبيات والدراسات والبحوث العلمية التي تعرض للجامعات البحثية في العالم إلى عدة خصائص يمكن إجمالها فيما يلي:

أ-التعدد والتنوع :

تختص الجامعات البحثية بهياكل تنظيمية شديدة التباين، ويمكن وصفها بدرجة كبيرة من التعقيد فعلى سبيل المثال: هناك جامعات بحثية تسير شؤونها مجالس إدارة دائمة تتجدد تلقائيا دون إضافة أعضاء من الخارج، وجامعات بحثية تخضع اللوائح القانونية التي يشرعها المجتمع ويديرها مجلس أمناء منتخبون أو يعينون يختارون وفق معايير مختلفة، وجامعات بحثية حكومية تشرف عليها هيئات حكومية معينة من قبل الحكومة ، أما عن درجة التعقد فتتضحا في أن الجامعات البحثية تهتم بكافة مجالات المعرفة التي يمكن تصورها: من الفنون الانسانية إلى العلوم الاجتماعية والسلوكية، ومن العلوم الرياضية إلى العلوم الطبيعية والحيوية كما أنها تركز على برامج البحوث المكثفة والشمولية في كثير من المجالات الأكاديمية (مركز الدراسات الاستراتيجية، 2010، 31- 32).

ب-الحوارية :

وهي خصصه للجامعات البحثية يندر تواجدها في الجامعات الأخرى المختلفة وهي أي الحوارة ببساطة تعني طرح الأسئلة العلمية سواء بالنسبة للطالب أو أعضاء هيئة التدريس أو الباحثين بشكل عام إلى التوصل إلى إجابات محددة. فقد روج الفلاسفة المعاصرون ورواد التعليم المهتمين بالبحث العلمي لتوظيف كل مهارات البحث التي اكتسبه في الماضي في مشروع يتطلب وضع سؤال هام أو مجموعة أسئلة بحثية، والقيام بدراسات استكشافية ابتكارية لإيجاد الأجوبة لتلك الأسئلة ثم استخدام مهارات الاتصال والحوار لعرض النتائج على جمهور يشمل الخبير في الموضوع والمبتدئ الذي لا يدري شيئا عن الموضوع على حد سواء، وبهذا الصدد أوصت لجنة لإنعاش التعليم الجامعي بوضع خطة للجامعات البحثية الأمريكية بما يلي: (Simpson & Other, 2004, 66) قيام التعليم على الاستفسارات وقيام طرق التعليم على الاستكشاف وعدم تغليب بحوث أعضاء هيئة التدريس على التدريس، ولكن استخدام البحث كأسلوب للتدريس.

ج-الاستقلالية :

ويعني ذلك انفصال كافة عمليات العمل الأكاديمي والعلمي في الجامعات البحثية عن كافة الضغوط المجتمعية سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو حتى بيروقراطية إدارية، كما أن الاستقلالية تعني كما سبق وأن أوضحت الدراسة بشأن أسس الجامعات البحثية، حرية البحث العلمي وتجاوزه القيود والعقبات التي يفرضها أصحاب الأعمال ومؤسسات الانتاج بقصد تحقيق الربحية والمكاسب المادية من نتائج مشروعات البحوث التطبيقي التي تقوم به الجامعات البحثية.

د-التكاملية التعليمية :

ويعني ذلك أن الجامعات البحثية توفر تعليم خلاق متكامل من خلال توفير فرص متنوعة للتعلم والبحث، وحرية الاختيار بين مجالات الدراسة والتخصصات المختلفة وكذلك تنمية فرص التفاعل بين الطلاب بعضهم البعض وبين أعضاء هيئة التدريس والباحثين المتميزين وعلى ذلك فإن هذه الخصوصية تتطلب أن تعمل الجامعات البحثية من خلال ما يلي:

- الحصول على فرص العمل مع الباحثين المتميزين والموهوبين وتلقى النصح.

- الحصول على كافة التسهيلات التي من شأنها تسهيل عملية البحث من مختبرات ومكتبات ونظم الحاسب وغيرها مما يحتاجه طلاب جامعة البحث.
- حرية الاختيار بين مجالات الدراسة والتخصصات المختلفة والانتقال فيما بينها خاصة تلك التخصصات التي قد لا تتوافر إلا في جامعة البحث.
- فرص التفاعل مع الآخرين ذوي الخبرات والخلفيات والثقافات المختلفة بدء من الطلاب الجدد وحتى أعضاء هيئة التدريس من الباحثين المتميزين.

وهكذا تكسب جامعة البحث طلابها خبرات تعليمية متكاملة أعمق وأشمل مما قد يكتسبه في الجامعات الأخرى، وتخلق تعليما متكاملا قادرا على تخريج نوعية فريدة من الطلاب لديهم روح البحث، وحل المشكلات والتعاون، وعمل الفريق والفكر الابداعي، وهذا النوع من التعليم سيجعلهم يمتلكون القيادة العلمية والتكنولوجية والأكاديمية والابداعية القادمة (Richerd & Nelson, 2000, 16-19).

هـ-المهنية :

تهتم الجامعات البحثية بالبرامج المهنية التي تقدمها لطلابها من أجل إعدادهم المتميز لمستقبلهم المهني. وفي هذا الصدد تركز هذه الجامعات على برامج مهنية منتقاة تجعل ممن طلابها، وخريجيها متميزين في المجتمع، وتولي الجامعات البحثية على الأخص اهتماما بالغا لبرامج البحوث المتعمقة والمتوسعة في المجالات المهنية، ونظرا لإدراك القطاعات المحلية والإقليمية والوطنية للقمة الاجتماعية والاقتصادية السامية لتلك الجامعات فإنها تدعمها من خلال منح للبحوث والأجهزة والمواد، ولعل من أهم المجالات المهنية التي تهتم بها الجامعات البحثية، المجال الطبي والطب الحيوي والهندسة الحيوية والطبية والتقنية الحيوية والصيدلة، فإن الجامعات لها تاريخ طويل في التقدم الذي أحرزته البشرية في تلك المجالات والإسهام في تقنيات الرعاية الصحية خاصة بالبحوث التي تجري في معامل الجامعة والمستشفيات الملحقة بها (Gabriela, 2002, 12)

أنواع الجامعات البحثية :

هناك أساليب إدارية شديدة التباين في الهياكل التنظيمية التي تتبناها الجامعات البحثية رسميا وعموما هناك ثلاثة أصناف من الجامعات البحثية :

مؤسسات خاصة ليست ربحية لها تنظيمات واضحة المعالم تسير شؤونها مجالس دائمة تتجدد تلقائيا دون إضافة أعضاء من خارج الهيئة المؤسسة.

مؤسسات عامة الهوية خاضعة للوائح القانونية والدستورية للدولة أو الولاية أو المقاطعة التابعة لها حيث يتحكم فيها مجلس أمانة أو مجلس حكام. ينتخب أعضاؤه أو يعينون أو يختارون وفق معايير تختلف من إقليم إلى آخر.

مؤسسات عامة تابعة للدولة أو الولاية أو المقاطعة تخضع لمجلس أمانة أو مجلس حكام يشرف على عدة مؤسسات للتعليم العالي في الإقليم بما في ذلك مؤسسات غير مهتمة بالبحوث.

ورسالة الجامعات البحثية مثلها مثل مؤسسات التعليم الأخرى تشمل أهدافا لا تقتصر على البحوث العلمية فعادة ما تشمل عددا من التخصصات الأكاديمية وتدعم مجموعة من الكليات المهنية المتنوعة. وتشارك في برامج مكثفة خارج الحرم الجامعي في مجال مواصلة التعليم المهني، وتقدم خدمات للمجتمعات المحيطة بها ، هذا لأن كل جامعة تقوم بمفردها بمزيج من تلك المهام بأساليب متعددة بحيث أنه من الصعب أن تتشابه رسالتا جامعتين.

وعلى تعقيد نظمها فإن الجامعات البحثية تقوم بدور مؤسسات أساسية تسعى دائبة للتقدم بالمعرفة في كل مجال ممكن تصوره من دروب النشاط البشري من الفنون إلى العلوم الاجتماعية والسلوكية ومن المهن إلى العلوم الرياضية والطبيعية والحيوية فليس هناك جامعة واحدة ترعى البحث في كل مجال من مجالات الاستكشاف الانساني، ولكن هناك جامعة واحدة على الأقل لديها برنامج بحث في كل مجال من مجالات المعرفة.

والجامعات البحثية على وجه الخصوص تركز على برامج البحوث المكثفة والشمولية في كثير من المجالات الأكاديمية والمهنية ونظرا لأن تلك المؤسسات تتمتع بقيمة اجتماعية واقتصادية عالية فإن وكالات الدعم على مختلف مستوياتها تسعى لمساعدة الجامعات البحثية سواء كانت عامة أو خاصة من خلال منح البحوث، وتوفير المعدات والمرافق، إلى جانب المساعدات المالية

للطلبة في جميع المراحل، وبالمقابل فإن الجامعات البحثية تحرص على أداء التزاماتها نحو المجتمع بتخريج مواطنين يفيدون وبنقل نتائج البحوث الأكاديمية إلى خدمات ومنتجات تنعش الرفاهية القومية والدفاع الوطني، كما تقوم الجامعات في العادة بأعمال اجتماعية واسعة النطاق.

وقد روج الفلاسفة المعاصرون ورواد التعليم للتفكير التأملي لضرورة توظيف كل مهارات البحث التي اكتسبت في الماضي في مشروع يتطلب وضع سؤال هام أو مجموعة أسئلة ذات اهمية والقيام ببحوث أو استكشافات ابتكارية لإيجاد أجوبة لتلك الأسئلة، ثم استخدام مهارات الاتصال والحوار لعرض النتائج على جمهور يشمل الخبير في الموضوع والمبتدئ الذي لا يدري شيئا عن الموضوع على حد سواء. فالفرد يتعلم كيفية التفكير، أي التحليل والتقييم وبناء الفكرة بالعمل، وبالأخص بمحاولة حل مشكلة أي البحث عن جواب لسؤال مطروح فالمقرة على إيجاد المعرفة هي من تداعيات عصر المعلومات الصناعية ولهذا فإن قدرة الأفراد على إيجاد المعرفة تؤدي إلى نجاحهم في القرن الواحد والعشرين سواء في السوق أو في المجتمع المدني، كما أن القدرة على حل المشاكل وإثراء مهارات رأس المال البشري مجهود جماعي، فالزملاء يتعلم بعضهم من بعض، ورغم أن المفترض في الموجه أن يكون أكثر خبرة من اللاعبين والمتدربين في حل المشاكل إلا أن على الموجهين التعلم والنمو إلى جانب اللاعبين والمتدربين.

فالانكباب على الأنشطة بمعنى تكريس الوقت والجهد عليها أصبح الوسيلة المتعارف عليها لإدراك جودة طلاب التعليم العالي وممارستهم للتعلم فالهدف لا يقتصر ببساطة على استخدام التقنية لتسهيل ما يقومون به ولكن الهدف هو الاستفادة من المبتكرات لتغيير كيفية الأداء وتحسينه ، وفي الواقع أن أفضل التعلم يتأتى من المحاولة والخطأ فليس هناك من بديل للاكتشاف الشخصي في التحصيل ولهذا فإن المراد من خبرة الطالب في الجامعة هو تكوين قيمه وميوله إلى جانب توسيع رقعة معرفته وإدراكه بالعالم.

وتكتسب الجامعات البحثية أهميتها الحقيقية من برامج الدراسات العليا التي تتوافر بها، حيث أنها تقود حركة البحث العلمي، وتسهم في إثراء المعرفة البشرية، وفي تنمية القوى البشرية المؤهلة ، وذلك لتلبية متطلبات التنمية.

وتسعى الجامعات الرائدة إلى الأفضل دائما في كل مخرجاتها، وهذه الجامعات على استعداد دائم ومستمر لبذل الجهد والوقت للحصول على المكانة التي تخطط للوصول إليها ويزداد الجهد في

هـذا العـصر نظـرا لـشدة المنافـسة الـتي تنـشدها كل الجامعـات العالميـة. وتعـيش الجامعـات والمؤسسات التعليمية في خضم بيئة دولية تشهد نموا مضطردا وغير مسبوق في أهمية دور العلـم والمعرفة، حيث تستمد منه ظاهرة العولمة وجودها، وتستند إليه آليات انتشاره وتحكمها لمجريات العلاقات المعاصرة وما يترتب عليه في الوقت نفسه من تآكل ف حواجز السيادة بين المجتمعات، إضافة إلى بروز هيمنة ثورة المعلومات وتعاظم التطور التقني في جميع المجالات.

وفي ظل هذه البيئة عاليـة التنافـسية تـبرز أهميـة العنايـة بالقـائمين على البحـث العلـمي وبخاصة طلاب الدراسات العليا، والذين هم من أهم فئات الثروة البشرية في المجتمع وهم الذيـن يقع على عاتقهم تقدم البحث العلمي في بلادهم، لذا فقد أولـت الدول المتقدمـة اهتمـام خـاص بهذه العقول، لأنها أدركت أن عظمة الأمم تكمن في قدرة أبنائها العلمية والفكرية في مجالات البحث العلمي وإكسابهم مهاراته وأدواته وذلك لتثبيت دعائم هذه الأمـم في التطـور والرفاهيـة وبالتالي المحافظة على مكانتها الدولية، والجامعات لأنها المسئولة الأولى عن إعداد وتنمية المـوارد البشرية والتي تعتبر قاطرة التنمية في أي مجتمع والـتي يـوكل إليهـا قيـادة المجتمعـات وتحـسين أوضاعها (الديك، 2009م، ص 44).

وإن من أهم الأهداف الرئيسية للدراسات العليا ما يلي: (الحارثي، 143هـ، 57)

- الاهتمام بتشكيل التفكير الاستقلالي والنقدي والابتكار لدى الالب.
- الاهتمام بتقديم المعرفة الصحيحة والثرية للطالب.
- الحرص على تقديم المهارات الأساسية لطالـب الدراسـات العليـا وعلى وجـه الخـصوص مهارات اللغة العربية واللغة الانجليزية.
- بناء المهارات المنهجية والبحثية.

وتعد الدراسات العليا عصب البحث العلمي في الجامعـات لأنهـا تطـور البحـث العلـمي بأيدي اللاب الشباب فيما يكون أعضاء هيئة التدريس الموجهين للبحث العلمي بما لديهم من أفكار جديدة وعلم غزير.

والدول المدركة لقيمة البحث العلمي ترفض أي تقصير نحوه، لأنها تعتبر البحـوث العلميـة دعائم أساسية لنموها وتطورها. وأيضا فإن الإلمام بمناهج البحث العلمي وإجراءاتـه أصـبح مـن

الأمور الضرورية لأي حقل من حقول المعرفة، بدءا من تحديد مشكلة البحث ووصفها بشكل إجرائي واختيار منهج وأسلوب جمع المعلومات وتحليلها واستخلاص النتائج. وتزداد أهمية البحث العلمي بازدياد اعتماد الدولة عليه، ولا سيما المتقدمة منها لمدى إدراكها لأهميته في استمرار تقدمها، وتطورها ، وبالتالي تحقيق رفاهية شعوبها والمحافظة على مكانتها. فالبحث العلمي يساعد على إضافة المعلومات الجديدة ويساعد على إجراء التعديلات الجديدة للمعلومات السابقة بهدف استمرار تطورها (أبو زيد ، 2008م، 102)

وبالإضافة إلى ذلك فإن الدراسات العليا تنهض بدور إعداد القوى البشرية التي تساعد على تنفيذ خطط التنمية. وإذا كان التعليم بجميع مراحله هو استثمار في المستقبل لأنه يصنع العقول والسواعد التي يحتاجها الون في قابل الأيام فإن الدراسات العليا تأتي على رأس هذا الاستثمار، وإذا لم يفلح هذا الاستثمار فإنه يعد إفلاسا شديدا لا مثيل له.

وإن تأهيل كوادر البحث العلمي هو أحد أهم واجبات الجامعات، والدراسات العليا تعتبر الساحة الكبيرة والفسيحة التي توفر الفرصة للباحثين للخوص في مجال البحث العلمي، من خلال إتاحة الفرصة لهم للاحتكاك بالعلماء والباحثين من أصحاب الخبرة في مجال البحث العلمي (التركستاني، 2001م، 89)

ويمكن تقسيم المهارات المهنية والضرورية لطلاب الدراسات العليا إلى أربعة فئات هي (الحارثي، 1430هـ، 77)

الأولى: مهارات أساسية Basic Skills وهي التي تحقق كيف يكون طالب الدراسات العليا ناجح في دراسته وبحثه العلمي.

الثانية: مهارات التواصل Communication Skills وهي على وجه التحديد أن تكون قادرة على تطويع النتائج ونشرها كتابيا في مجلات علمية أو شفهيا في المؤتمرات والمنتديات العلمية.

الثالثة: مهارات العمل Job Skills إيجاد والحفاظ على فرص العمل.

الرابعة: مهارات متقدمة Advanced Skills ويقصد بها المهارات التي تؤهل لكتابة مقترحات تمويل المشروعات، القيادة، والقدرة على التصرف.

وقد حدد تقرير الجمعية الكندية للدراسات العليا Canadian Association for Studies مبادئ أساسية لتنمية المهارات المهنية لطلاب الدراسات العليا في سياق الجامعة وذلك كما يلي:

- الجامعة هي المسئولة عن تطوير المهارات المهنية لطلاب الدراسات العليا واعدادهم أفضل ما يمكن لدورهم في المستقبل.
- تنمية المهارات الفنية تكون أكثر نجاحا وأكثر فاعلية إذا تم الاعتراف بها رسميا من قبل المؤسسة.
- تنمية المهارات الفنية يجب أن لا تكون على حساب زيادة العبء الدراسي لبرامج الدراسات العليا.
- المتوقع من تطوير المهارات الفنية ينبغي أن يكون مناسب لاحتياجات المجتمع، متوافق مع نوعية البرنامج (ماجستير/ دكتوراه)، وبالنظر إلى الأهداف ويلة الأجل لطالب الدراسات العليا (أكاديمي/ قطاع عام/ قطاع خاص).
- ينبغي للجامعة أن يتوفر لديها الاستعداد ويتم إمدادها بالموارد اللازمة لتطوير هذه المهارات.
- برامج تنمية المهارات ينبغي أن تكون تجريبية ومتقدمة.
- البرامج الأكاديمية وموارد الجامعة مسئولة عن تطوير المهارات الأكاديمية بما في ذلك مهارات التفكير الناقد ومهارات الاتصال والكتابة والعرض.

فالإعداد الجيد في مجال الدراسات العليا يؤكد على توافر المعرفة والمهارات والقدرات والقيم ومجالات الاهتمام الملائمة للوظائف ومجالات العمل المحدودة إلا أن الدراسات العليا يتم استخدامها لتمكن من التأهيل الأعلى ليس لمجرد كفاءات ومهارات الاقتدار في مجالات نظرية أو معرفية محدودة. بل إن الإعداد من خلال الدراسات العليا يستهدف إلى ترسيخ مهارات عامة وقدرات متطورة مثل حل المشكلات والابداع، حيث تمكن من تحقيق مزيد من التعلم، والمواءمة والابتكار في مجال العمل. وتعمل المؤسسات ومختلف جهات التوظيف على التعريف بتلك الجوانب من اجل الاعداد الجيد للدراسات العليا مما يمكن العاملين من المواءمة والابتكار في مجالات وظائفهم بالنسبة لمختلف المواقف والقرارات.